العـــراق
ومـواجهـة التـوسع الفارسي ١٧٣٣/١٧٤٣م

د/عماد احمد الجواهري *

مقدمـــــة :

تعرض العراق بسبب وضعه الجغرافي على تخوم الوطن العـــربي الى هجمات الغزاة بصورة مستمرة . وهذا البحث الذي نقدم له بهذه السطور يستعرض فصلا من تاريخ العراق الحديث وهي الفترة الواقعة بين عامي ١٧٣٣ ــ ١٧٤٣ حين تصاعدت فيها محاولات الفرس في عهد (نادر شاه) ★ للسيطرة على العراق .

ترى هل كان بوسع الفرس ذلك ؟ وهل كان بوسع (نادر شاه) ــ الذي يعد من لدن المؤرخين اخر الفاتحين في المشرق ــ ان يقضي على ارادة شعب صمم على المحافظة على كيانه السياسي في اطـــاره التقليـــدي وعلى شخصيته القومية في اطارها التاريخي ؟ هذا ما سنحاول عرضه وتقويمه خلال صفحات هذا البحث .

ونود ان نشير في ختام هذه المقدمة الى ان الصورة الايجابية التي تطرحها بعض سطور البحث لمسألة المواجهة العثمانية للتوسع الفارسي على العراق (باعتبار ان العراق كان خاضعا للسيطرة العثمانية) هي مسألة ملحوظـــــة ولكنها ثانوية قياسا الى **الهدف العام للبحث الذي يعرض المواجهة العراقية**

---

* يعمل مدرسا مساعدا في قسم التاريخ بكلية الآداب جامعة الموصل منذ سنة ١٩٧٦ .
– حصل درجة الماجستير في التاريخ الحديث من جامعة بغداد عـام ١٩٧٥ .
– عمل في التدريس الثانوي لمدة عشر سنوات ثم دخل سلك التدريس الجامعي .

من مؤلفاته :

– **تاريخ مشكلة الأراضي في العراق ودراسة في التطورات العامة ١٩١٤–١٩٣٢** . دار الحرية للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٧٨ .

الوطنية بحجم جديد جدير بالاعتبار . ان الموضوعية في نظرتنا تجعلنا نشير ايضا الى ان المواجهة العراقية للسيطرة العثمانية هي مسألة واردة حيث اكدتها مجريات التاريخ فيما بعد ولكنها ليست من شأن هذه الدراسة بطبيعة الحال .

العراق والعلاقات العثمانية الفارسية :

بدأ التوسع العثماني نحو الشرق منذ الربع الاول من القرن السادس عشر، وكان من حصيلة هذا التوسع دحر الفرس الصفويين في جالديران عام (١٥١٤) ثم اسقاط دولة المماليك في مصر والشام (١٥١٦ ــ ١٥١٧) . وفي عام (١٥٣٤) انهى العثمانيون الوجود الصفوي في العراق بعد حكم دام حوالي ربع قرن . وخلال نصف قرن من التوسع العثماني في المشرق العربي كانت الاستراتيجية العثمانية تتوخى منازلة التحالف الصفوي ــ البرتغالي في البحار العربية والوجود الفارسي على حدود العراق والاناضول «١» .

وبعد النصف الثاني من القرن السادس عشر وبسبب الجهود العثمانية المتصلة وتطورات دولية مهمة تضاءل النفوذ البرتغالي في الخليج والبحار العربية ، ومن جهة اخرى فان الضربات المتلاحقة التي سددها العثمانيون للفرس اجبرت هؤلاء على الاعتراف بالامر الواقع حيث تم اقراره في صيغة اتفاق بين الطرفين تضمنته معاهدة اساسية عام (١٥٥٥) «٢» .

على ان الجدير بالذكر في هذا الموضوع **هو ما لوحظ من مقاومة العراقيين للحكم الصفوي وصمود قوى عراقية وخليجية بوجه النشاط البرتغالي ــ الفارسي في الخليج «٣»** . **وعلى قدر تعلق الامر بالعراق فان هذه التطورات تعني بأن العراق صار يسترد حيويته التي اصابتها بالشلل القوى المغولية والحكومات الاجنبية المتعاقبة وذلك في وقت سابق لهذا التاريخ** . لكن التوسع العثماني نحو الشرق جاء مفاجئا فأصيب العراق نتيجة ذلك باضرار فادحة جرتها عليه عوامل انقلاب التوسع العثماني في اراضيه الى وجود دائم . فبالاضافة الى الاستنزاف المتصل لموارد العراق المادية والبشرية بسبب الهيمنة الاجنبية فقد تعين عليه ان يواجه نتائج السياسات العدوانية التي انتهجتها الدولتان العثمانية والفارسية في علاقاتهما الخارجية . وتبدو المسألة اكثر خطورة عندما نشير الى ان العثمانيين بشكل خاص كانوا يوكلون الى باشواتهم في العراق مهمة الاشراف على المصالح العثمانية في شرق الامبراطورية عموما ومع بلاد فارس على وجه الخصوص . وقد تطلب هذا الامر ضرورة تأهب باشوات بغداد الدائم من أجل مواجهة تطورات الاحداث . أما بالنسبة للعراقيين فقد استتبعت ظروف تلك المواجهة المحافظة على البلاد بشكل خاص والقيام بالالتزامات التي فرضتها التبعية السياسية للعثمانيين «٤» . ومن ناحية اخرى

فان الفرس ـــ وبسبب هزائمهم المستمرة امام العثمانيين ـــ اعتمدوا سياسة خرقاء ضد العراق «٥» . ففي النصف الاول من القرن السابع عشر شن الفرس هجوما على العراق مستغلين الاحداث الدامية الناجمة عن تمرد بكر الصوباشي على السلطات العثمانية عام (١٦٢٣) تمكنوا فيه من احتلال بغداد والبطش بأبنائها «٦» . على ان السلطان العثماني مراد الرابع (١٦٢٣ ـــ ١٦٤٠) اعاد سيطرة الدولة العثمانية على العراق عام (١٦٣٨) واضطرت الدولة الفارسية الى الموافقة على الشروط العثمانية للصلح ، فتم عقد معاهدة « زهاب » بين الطرفين عام (١٦٣٩) التي كرست الحكم العثماني على العراق وعينت خطا للحدود بين الدولتين «٧» .

وخلال الفترة الواقعة بين عامي (١٦٣٩ ـــ ١٧٢٩) اضطربت احوال الدولة الفارسية ، وتعرضت بلاد فارس الى غزو الافغان والروس ، كما شهدت صراعات داخلية خطيرة . وفي خضم تلك الظروف وجدت الدولة العثمانية الفرصة مواتية لدفع التوسع العثماني الى اقصى مداه باتجاه الشرق «٨» .

على ان هذا الوضع لم يستمر حتى النهاية فقد استطاع قائد مغمور يدعى « نادر قلي » ان يبعث الحياة في الدولة الفارسية الصفوية شبه الميتة ، كما نجح في دحر الافغانيين وطردهم من فارس ، وانطلق نحو استعادة الممتلكات التي احتلها الروس والعثمانيون «٩» .

الفرس يهاجمون العراق :

قد يكون امرا طبيعيا ان يحاول حاكم الفرس الجديد رد الاعتبار للدولة الفارسية المنهارة ، وذلك ممكن عن طريق منازلة غرمائه العثمانيين في الاناضول مباشرة كما فعل العثمانيون عندما دحروا الفرس في عقر دارهم في جالديران عام (١٥١٤) ، ولكن الذي حصل هو ان (نادر شاه) بعد ان ابى الاعتراف بمعاهدة عام (١٧٣٢) التي وقعها الشاه طهماسب مع الدولة العثمانية «١٠» عمد الى غزو العراق ضمن سياسة عقيمة اتسمت بأبعادها التخريبية الواضحة.

وهكذا لم تمض غير مدة قصيرة حتى كان (نادرشاه) على رأس جيش عرمرم في طريقه الى بغداد . و في بغداد نفسها سارت الاستعدادات على قدم وساق وقام الوالي احمد باشا الذي اوتي من القدرة والكفاءة قدرا عظيما بجهود كبيرة لاصلاح الاسوار واعداد المؤن وتجهيز القادرين على حمل السلاح تجهيزا كاملا . كما ارسل يطلب الامدادات من والي الموصل الذي امده بألف من الرجال الانكشارية «١١» .

وفي مطلع عام (١٧٣٣) كانت القوات الفارسية تطبق على العاصمة

التاريخية بعد سلسلة من النجاحات الجزئية احرزتها وهي في طريقها الى بغداد.
لقد واجهت القوات الغازية المقاومة في مناطق مختلفة من العراق كان ابرزها المقاومة الشجاعة في تكريت شمال بغداد ، يقول المؤرخ رسول الكركوكلي :

« عنـد وصول قوات نادر شاه الـى تكريت تصدى لها مصطفى باشا يشاركهم السكان الغيارى على اعراضهم ودينهم » «١٢» .

وبدأ الحصار الفارسي لمدينة بغداد ، وفشلت محاولات عديدة لاقتحام المدينة ، وعمد (نادر شاه) الى قطع الطرق الموصلة بين بغداد والموصل وبين بغـداد والشام وكذلك بين بغداد ومدن الفرات الاوسط . وواضح تماما ان (نادرشاه) كان يبغي من وراء ذلك عزل مدينة بغداد وحاكمها المحاصر عن قواعد التموين التقليدية . وفي هذه المناسبة يقول كركوش الحلي : ان القوة الفارسية التي بعثها (نادر شاه) الى الحلة (جنوب بغداد) تمكنت من احتلال المدينة وقامت بقطع الطرق وقوافل الحبوب والاغذية عن مدينة بغداد . وبقيت القوة ترابط في المدينة وبضعة مواقع اخرى لحين توقيع الصلح بين الطرفين فانسحبت القوات الغازية وحلت محلها القوات العثمانية «١٣» .

لم يفت الحصار الشديد في عضد المدافعين وكانت معنويات البغداديين عالية ، فقد كانوا مؤمنين بأن القتال فرض عليهم وليس لهم الا الدفاع والصبر .
اما القوا تالعثمانية المحاصرة فانها كانت تتطلع لنجدات السلطان ، وحالهم في ذلك حال الارض العطشى الى الماء «١٤» .

وحاول احمد باشا بذكائه الحاد اقناع (نادر شاه) بالانسحاب فقد دفع بقوة من المغاوير للقيام بهجوم فدائي ضد القوات الفارسية ، وقد افلحت تلك القوة في توجيه ضربات شديدة الى القوات الغازية ولكنها اضطرت الى اللوذ باسوار المدينة المحاصرة بعد ان تكبدت بخسائر مختلفة «١٥» . واستمرت المعارك سجالا بين الطرفين وكانت آمال (نادر شاه) بجدوى الحصار توازي امال احمد باشا بتجاوز هذه المحنة . ونشط الخصمان المحاصر والمحاصر في امتحان قدرات بعضهما للبعض الاخر ، وذلك في محاولات متشابهة لتحقيق نتائج حاسمة . وروي ان الوالي المحاصر كان يشيع بين قواته اخبارا تفيد بأن الامدادات العثمانية اصبحت قاب قوسين او ادنى «١٦» .

ومن طريف ما يروى في هذه الموقعة ان والي بغداد استقبل وفدا من معسكر الفرس ، وان الوفد فوجيء بوجود كميات كبيرة من المؤونة معروضة على قارعة الطريق . وقد اثير في حينه بان والي بغداد نجح في تضليل الفرس واقناعهم بأن وقتا طويلا سوف يمضي قبل ان يكـون بمقدورهـم اجبـار المدينـة على الاستسلام «١٧» .

وعلى اية حال فان الامر الذي لاشك فيه هو ان بغـداد اجتازت حالة الحرب والحصار والتجويع بفضل وعي السكان ومؤازرتهم للجهود المبذولة في سبيل الوطن . لقد كان الحصار امتحانا للبغداديين جميعا ، وقد ابلى فـي سبيل تجاوزه الغني والفقير على السواء «١٨» . أما ادعاء بعض المصادر «١٩» بوجود عناصر متآمرة داخل بغداد كانت تعمل لمصلحة الفرس فهي ان صحت فانها خائبة لانها لم تستطع ان تثني الاهالي عن عزمهم في مقاومة الغزاة .

هزيمـة الفـرس :

تعززت الامال بوصول أخبار مفادها أن تعزيزات عثمانية في طريقها الى بغداد . وقد دخلت التعزيزات الى العراق في صورة حملة نيطت قيادتها الـى عسكري عثماني عركته السنون يدعى عثمان باشا ويلقـب بـ (طوبال) او الاعرج . **وذكر بأن معظم الوحدات المشتركة في التعزيزات تتألف من قـوات عراقية وسورية واناضوليـة قضى عثمان باشا قـرابة نصف عام فـي اعدادها «٢٠»** .

وفي منتصف عام (١٧٣٣) التحمت الحملة العثمانية مع جيوش (نادر شاه) فيمعركة طاحنة بالقرب من كركوك ، فجاءت النتيجة تنبىء بأن جيوش الفرس قد منيت بالهزيمة وان (نادر شاه) قد انسحب بمن تبقى من القوات نحـو الشرق تاركا قواته الاخرى التي تحاصر بغداد منذ امد غير قصير الى يومهـا المشؤوم «٢١» .

وانفرجت ابواب بغداد على مصاريعها بمجرد السماع بالهزيمة التي حلت بالقوات الفارسية ، وقد خرج الجيش المحاصر والاهالي ليسحقوا الغـزاة ولينعموا باجواء الحرية والانتصار خارج الاسوار «٢٢» .

استقبلت بغداد عثمان باشا استقبـالا حافلا ، وزفت التهاني الى الجيش المنتصر ولقائده المظفر «٢٣» . واطلق القائد العنان لافراد جيشه كي يزفوا بشائر النصر الى اهليهم وذويهم في الموصول وكركوك والشام والاناضول «٢٤» .

نهاية عثمان باشا المحزنة :

لم تحسم معركة كركوك الموقف تماما ، فقد استطاع (نادر شاه) وهـو في همدان بناء قوته من جديد ، ومضى يلعق جراحه ويستعد للجولة القادمة «٢٥» . وفي مقابل ذلك كان احمد باشا الرجل الذي ساقته الاقدار لمواجهة (نادر شاه) خبيرا بالموقف السياسي ، فعرف بأن الفرس عائدون لا محالة ، ومثله ايضا خبر

البغداديون الحالة فكانوا يستعدون لمؤازرة احمد باشا ما دام الدفاع عن بغداد قاسما مشتركا بين الجميع .

وبخلاف احمد باشا واهالي بغداد اظهرت الايام قصور تقديرات عثمان باشا «٢٦» . وهكذا واجه هذا القائد محنة التحرك الفارسي الجديد . لقد كان الموقف اصعب من ان يجابه بالقوى المحدودة التي بقيت لديه ، فأرسل الى حكومته يطلب النجدات ، غير ان (نادر شاه) كان في زحفه يسابق الزمن . **وهرع عثمان باشا الى الولايات العربية الموصل والشام وديار بكر يطلب منها نجدة شقيقتهم الكبرى بغداد فاسرعن لتقديم ما يمكن تقديمه في مدى زمني اقصر من القصير «٢٧»** . على ان الزحف السريع (لنادر شاه) افقد القائد التركي المرونة في اعداد جيشه العربي . وبخلاف استعداده الطويل في المرة الاولى والذي استغرق مدة معقولة فان مصيره الان لم يكن غير متوقع ابدا .

خلال شهر تشرين الثاني (١٧٣٣) جرت الدماء غزيرة على تراب العراق، وعلى روابي كركوك وسهولها ذبح الالاف من الجند العربي والتركي يتوسطهم قائدهم « طوبال » . اما (نادر شاه) فيقال انه وقف امام المشهد بخشوع «٢٨» .

وفي بغداد كانت اصداء هزيمة عثمان باشا شديدة الوقع على النفوس ، وكانت الخطوة التالية بالنسبة لواليها واضحة كالشمس في رابعة النهار ، **فاتخذ الاجراءات الضرورية لحماية بغداد التي اضحى الدفاع عنها مهمة مقدسة في اعناق الجميع** . وكان من ابرز تدابير احمد باشا «٢٩» :

١ ــ ترحيل قسم من السكان لاسيما .. الشيوخ والنساء والاطفال عن المدينة لاسباب اقتصادية وعسكرية وانسانية .

٢ ــ الايعاز الى القوات التي نجت من الموقعة باتخاذ مواقع لها في مناطق اخرى غير بغداد ، وذلك كي لاتتأثر معنوية المدافعين عن المدينة بما قد يرويه هؤلاء الجنود عن الموقعة الاخيرة .

العثمانيون يؤججون الصراع :

اواخر عام (١٧٣٣) وبينما كان اهالي بغداد والوالي احمد باشا يترقبون حصارا فارسيا جديدا ، جاءت الاخبار تنبىء باضطراب الاوضاع في فارس . وهكذا انقلبت مسألة ترقب الحصار الى أمل وطيد بانسحاب فارسي سريع . لقد تأكدت الرغبة في الانسحاب بمعاهدة عرضها (نادر شاه) ووافق عليها احمد باشا فتم التوقيع عليها في كانون الاول من عام (١٧٣٣) «٣٠» .

والواقع ان احمد باشا كان متفهما للاوضاع التي تحيط به ، كما انه لم يكن قادرا على رفض الدعوة للصلح ، ذلك لان ولايته الطويلة على بغداد — وبالرغم من اختلاف بعض وجهات النظر فيه «٣١» — جعلته واحدا من البغداديين يفكر باعتباره منهم ويرنوا الى سلامتهم . اما اولو الامر في الاستانة فانهم اهملوا المعاهدة واستغلوا اضطراب الامور في فارس فحاولوا الحصول على مكاسب اضافية .

وهكذا ودون النظر الى مصالح العراقيين قامت الدولة العثمانية بنقل احمد باشا من ولاية بغداد وأوعزت الى جيوشها ، بالتحرك نحو فارس عن طريق ارمينية والعراق .

وبالرغم من ان الجيوش العثمانية حققت بعض اهدافها في السيطرة على بعض الاقاليم الفارسية ، الا ان (نادر شاه) نجح في اخماد الاضطرابات ، ثم توجه بجيوشه الى ارمينية حيث انزل بالعثمانيين الهزيمة عام (١٧٣٥) «٣٢» كما قامت قوات فارسية اخرى بمهاجمة البصرة في السنة ذاتها «٣٣» . لقد دفعت انتصارات (نادر شاه) هذه العثمانيين الى مائدة المفاوضات فاسفرت عن معاهدة جديدة بين الطرفين تم التوقيع عليها في تشرين الاول عام (١٧٣٦) «٣٤» .

الفرس يعاودون الهجوم :

لم تكن المعاهدة التي توصل اليها العثمانيون والفرس عام (١٧٣٦) من وجهة نظر الطرفين غير هدنة مؤقتة . ولذلك فانه لم تمض سوى فترة قصيرة على توقيعها حتى اسرع الفرس الى خرقها كما بدءوا عام (١٧٤٣) حملة جديدة على العراق .

لقد كانت العلاقات السياسية بين الدولتين العثمانية والفارسية تعبر تعبيرا اكيدا عن النوايا العدوانية التي يبيتها الطرفان بعضهما للاخر ، على ان الانكى هو قصور الفرس عن ادراك ابعاد سياستهم التدميرية تجاه العراق «٣٥» .

وعلى أية حال فقد اظهرت الرسائل المتبادلة بين نادر شاه واحمد باشا — الذي اعيد لولاية بغداد من أجل مواجهة الهجوم الفارسي الجديد — بأن الشاه كان يحاول اغراء الوالي العثماني للانقلاب على العثمانيين . وفي هذا المعنى وهذا السياق الح نادر شاه على احمد باشا واكد له بأن وضع الوالي على رأس حكومة بغداد لن يتغير فيما اذا سلم بغداد للفرس كما أكد له بأنه لاينوي السوء تجاه بغداد والبغداديين وان احمد باشا بوسعه ان يكفل أمن الجميع بتسليمه البلاد «٣٦» .

ولم تنطل خطة نادر باشا وخدعته الجديدة على الوالي ، وبالرغم من تضارب الروايات حول الرد الذي ارسله احمد باشا الى الشاه «٣٧» ، الا اننا نستطيع القول بأن احمد باشا كان يدرك الابعاد الوطنية لمقاومة بغداد باعتبارها الطاقة الكامنة التي حفظت له مركزه السياسي باعتباره سياسيا ناجحا وقائدا محنكا . ولذلك فان الذي نرجحه ـ وهو امر يبدو واضحا من سياق الاحداث ـ ان احمد باشا استطاع ان يضلل نادر شاه ويجره الى مجابهة شاملة شتت فيها جيوش الشاه في العراق بأكمله .

الموصل تتحدى جيوش نادر شاه :

ترى بعض المصادر في تقدم نادر شاه نحو الموصل محاولة هدفت الى الامساك بخناق بغداد عن طريق قطع خطوط المواصلات بين القيادة العثمانية وحكومة ولاية بغداد «٣٨» . ومهما يكن من امر هذا التقدم فان المعلوم ان نادر شاه قام قبل ذلك وفي مناسبات مختلفة بالعدوان على مناطق عديدة في شمال العراق مثل كركوك واربيل ، على ان ظروف التقدم الواسع للقوات الفارسية في عام (١٧٤٣) والذي شمل انحاء واسعة من العراق خضع عموما الى تقديرات الشاه لتصعيد العدوان الى اقصى مداه ، والذي اخذ في بعد من ابعاده ايضا الانجرار وراء خطة احمد باشا الرامية الى وضع الغازي المغتر في اتون مواجهة شاملة مع البلاد لكي يكون بالامكان كسر شوكته وتحطيم سمعته العسكرية .

وهكذا فقد وصلت انباء تقدم نادر شاه شمالا الى الموصليين فاستنفرت الجهود قاطبة للدفاع عن المدينة . وقبل وصول نادر شاه اسوار الموصل بمدة مناسبة كانت المدينة تعج بالحركة والهياج . وعلى النقيض من مدينة بغداد التي واجهت انباء تقدم نادر شاه الجديد بالهدوء وقام حاكمها باجلاء قسم من السكان للمساعدة في تحقيق المرونة الكافية للدفاع ، فان والي الموصل حسين باشا الجليلي فتح ابواب المدينة لاستقبال « افواج اللاجئين » من القرى المجاورة . ويذكر بأن هؤلاء اللاجئين قدموا للموصل التموينات والذخائر التي قيل بأن المدينة كانت بامس الحاجة اليها في هذه الظروف «٣٩» .

وقد عبرت هذه الحالة عن الوضعية الحقيقية للموصل آنذاك . ومن المعتقد ان والي الموصل ادرك بأن امكانات البلدة للدفاع والصمود كانت محدودة **لذا** فانه استنفر العشائر المحيطة بالمدينة لتساهم في الدفاع عنها جنبا الى جنب مع قوات الولاية وسكان المدينة . وجدير بالذكر ان صاحب « منهل الاولياء » ينسب الى « الاب لنزا » في مذكراته بأن تلك العشائر كانت من القبائل العربية والكردية والتركية القاطنة في المناطق المجاورة لمدينة الموصل . وذكر ايضا بأن

الوالي القى خطابا بين المدافعين اخذ خلاله العهد من الجميع بقتـــال الغزاة حتى النهاية «٤٠» .

ومن ناحية اخرى فقد اثمرت جهود العناصر التي دخلت المدينة في تدعيم الاسوار والحصون وحفر الخنادق واجراء الماء فيها ، ويقال بأن الوالي وسراة المدينة اشتركوا في اعمال التحصين «٤١» . وهكذا عندما وصل نادر شاه الى الموصل كانت المدينة قد بلغت درجة كافية من الاستعداد للمواجهة «٤٢» .

والواقع فقد برهنت اولى المعارك التي جرت خارج المدينة على اهمية الاحتماء باسوار المدينة المحصنة في اكثر اجزائها تحصينا جيدا «٤٣» . وقـــد حاول نادرشاه منذ بدء الحصار امتحان ثقة الوالي واستعداداته فعرض عليه الاستسلام كي تسلم المدينة من التدمير ويسلم المحاصرون من الهلاك «٤٤» . ولكن تهديداته جوبهت بالسخرية من لدن المحاصرين .. لقد تضمن جواب المدينة على تهديدات الشاه ابياتا من الشعر جاء فيها «٤٥» :

قام الحمـــام على البـــازي يهـــــدده　　واستصرخت بأســـود الغاب اضبعه
يامن يسد فـــم الافعـــى باصبعـــــه　　يكفيه ما قد يلاقي منـــــه اصبعـــــه

وقد دفع ذلك بنادرشاه الى تشديد الحصار ، كما قامت المدفعية الفارسية بقصف المدينة قصفا شديدا ليلا ونهارا ، ثم اصدر نادرشاه اوامره بالهجوم على كافة ابراج السور . وحاولت القوات الفارسية تكثيف هجماتها على بعض المناطق الضعيفة من سور المدينة ولكنها ردت على اعقابها . وسدت الثغرات بالعشرات من القتلى الذين فضلوا الموت عند الاسوار حتى لا يسمحوا للعدو بالمرور . وهكذا كانت ايام الحصار ملحمة بطولية ساهم فيها المحاصرون جميعا «٤٦» .

وصف صاحب « منهل الاولياء » المجهود الحربي لنادرشاه فقال «٤٧» :

> « باشر (نادرشاه) بضرب المدافع على البلـــد فكان يوما عبوسا قمطريرا بحيث يرى الناظر ان السماء امطـــرت نارا على الارض ، وهاجت الحرب وماجت الارض وعلا الصراخ وكثر الرعيـــــد كالصواعق .. واما القنابر (القنابل) فانها اشتبكت في الجو مثل النجوم الزاهرات منقضات في جو السماء حوالي البلد كانهـــــن اشطان بئر ... »

ويقال بأن عدد القنابل التي القيت على المدينة والاسوار بلغت (٥٠) الف قنبلة في الايام الاولى من احتدام المعارك «٤٨» . كما سقط خلال مدة الحصار

(١٠٠) الف قنبلة على احد ابراج المدينة المسمى «برج باشطابية» «٤٩» . ومن ناحية اخرى كانت اثار الحصار مريرة وقاسية ، فقد قطعت عن المدينة التموينات المختلفة وقامت قوات الفرس بتدمير وتخريب القرى في المنطقة ليحول دون استفادة المدينة بأي طريقة من الطرق من مصادر تموياتها «٥٠» .

وعلى أية حال فان نادرشاه لم يستطع الصبر على هذا الموقف وهو الذي اعتاد على الانتصارات الكاسحة لذا فانه آثر الانسحاب معترفا للوالي بصموده وللمحاصرين بصبرهم وبأسهم «٥١» . **لقد كان يوم الانسحاب يوما عظيما في تاريخ المدينة فقد انتصرت الارادة الحرة وخاب الغزاة «٥٢» .**

« ولم ترسل شمس اليوم الرابع من رمضان (١١٥٦ هـ) المصادف ٢٢/تشرين الاول/١٧٤٣ م اشعتها القرمزية على قمة البرج العالي باشطابيه اثر البطولة والاقدام الا وكانت العساكر النادرشاهية تسير متجهة نحو الشرق بقلب هالع وقدم مرتجف وهي تلقي نظرة وداع اخيرة ملؤها الهيبة على مدينة كللتها اشعة الشمس الذهبية باكمل الظفر والانتصار «٥٣» » .

وفي قصيدة مناسبة قال الشيخ عبد الله الاربيلي مخلدا هذا الانتصار «٥٤» :

من اهل هند والبلوج فحتفهم قد عد من اعدادها وثبورهم
فيقودها ملك الاران ونادر السلطان شدد اسرهم تسخيرهم
فرموا الى الحدباء نارا لم يكن يجديهم نفعا بها تزويرهم
ولاخذها بذلوا الجهود فما بقي من حيلة ومكيدة تقصيرهم
هجموا وقد طرحوا على ارجائها جزر السباع ينشنهم ونسورهم
نكصوا على اعقابهم من بعدها جنحوا لسلم والبواتر بورهم

فشل فارسي في البصرة :

وضعت اهداف نادرشاه العسكرية في اعتبارها احتلال البصرة باعتبارها ثغر العراق المهم وعمقا ستراتيجيا لبغداد ومركزا مهما من مراكز تجارة الخليج . وهكذا كانت محاولة الفرس لاحتلال البصرة جزءا متمما لخططهم التوسعية في العراق وجهودهم المستمرة للسيطرة على الخليج «٥٥» .

وعمليا اثبتت البصرة في مناسبات عديدة بانها قوة مهمة ومساعدة في حفظ التوازن والامن في منطقة الخليج وذلك بتعاونها الوطيد مع القوى العربية في الخليج وامكاناتها على الصمود بوجه القوى الغازية .

وقد كانت هذه الحقيقة مدركة ليس من لدن القوى العربية المحلية في المنطقة فحسب ، بل من لدن القوى التجارية الكبرى ايضا . فشركة الهند الشرقية البريطانية التي كانت تعي طاقات نادرشاه العسكرية كانت حريصة ايضا على عدم القيام بأي عمل من شأنه اثارة غضب السلطات المحلية في البصرة. ويبدو امرا مثيرا للانتباه حقا أن نجد الشركة التي امتنعت عن معاونة نادرشاه تقف عاجزة عن منع سلطات البصرة من استخدام السفن العائدة للشركة في المجهود الحربي ضد الفرس «٥٦» .

وعلى اية حال فقد شل الفرس في محاولتين اثنتين خلال عهد (نادرشاه) لاحتلال البصرة . وكانوا قد دفعوا في المحاولة الاولى (عام ١٧٣٥) عددا من قطع اسطولهم معززة بـ (٨٠٠٠) جندي «٥٧» . ودفعوا في المحاولة الثانية (عام ١٧٤٣) عددا اخر من قطع الاسطول الفارسي معززة بـ (١٢٠٠٠) جندي «٥٨» . **لقد نجحت السلطات المحلية المدعومة بتأييد الاهالي في رد غائلة المعتدين بعد اشتباكات عديدة «٥٩» . وجدير بالذكر والاعجاب حقا ذلك الموقف الواعي للعاملين والبحارة العرب في سفن الشركة الذين اجبروا الانكليز على وضع سفنهم في خدمة المقاومة البصرية للعدوان الفارسي «٦٠» .**

وختاما فان الفترة التي برز خلالها (نادرشاه) على مسرح الاحداث في المشرق تعتبر من اكثر الفترات قلقا واثارة وان احتدام الصراع بين الفرس والعثمانيين يعد مظهرا مهما لذلك القلق والاضطراب .

وقد وجد الكاتب ان وضع العراق وهو ولاية عثمانية جعل ازمة العلاقات بين الدولتين العثمانية والفارسية تقوم من لدن الباحثين على انها صراع من اجل العراق وقد ترك ذلك الصراع دون شك اثاره السيئة على البلاد .

ومما يؤسف له ان وجهة نظر العراق الحقيقية وآماله في الاستقرار وفي المحافظة على علاقات جوار جيدة وتطلعاته المشروعة نحو الحرية والاستقرار قلما وضعت موضع الاعتبار عند دراسة هذه الحقبة التاريخية المتعلقة بالعلاقات السياسية العثمانية الفارسية .

الهوامش والمصادر :

★ استخدم الكاتب خلال صفحات البحث تعبير «نادرشاه » اعتمادا على تمكن هذه الشخصية في الاستيلاء على عرش فارس في وقت لاحق بعد ظهوره اولا كقائد عسكري . ومعروف ان شهرة نادر كقائد عسكري بدأت بالانتشار خلال عشرينات القرن الثامن عشر ، وكان نادر وبضعة الاف من افراد قبيلته « الانشار التركمانية » قد دخلوا في خدمة المدعي بالعرش الصفوي « طهماسب ميرزا » سنة (١٧٢٦) الذي انعم عليه بلقب « طهماسب قلي خان » . وقد آزر نادر المدعي

بالعرش الصفوي وساعده في اعادة بناء الدولة الصفوية . وعندما تبوأ الشاه الجديد « عباس الثالث » العرش عام (١٧٣٢) نصب نادر نفسه وصيا عليه متخذا لقبا جديدا هو « وكيل الشاه » . وفي آذار (١٧٣٦) توج نادر نفسه ملكا على الدولة الفارسية بعد وفاة الشاه الطفل . هذا وقد وضع الكاتب تعبير « نادرشاه » بين قوسين كبيرين عند ورود ذكره خلال الفترة السابقة لتتويجه ، لذا اقتضى التنويه .

(١) حول هذا الموضوع انظر : اسماعيل سرهنك . **حقائق الاخبار عن دول البحار ، القاهرة** الجزء الاول . وكذلك محمد انيس . **الدولة العثمانية والمشرق العربي** ، (القاهرة) وعن الوجود البرتغالي في الخليج العربي انظر : صالح اوزبران . **الاتراك العثمانيون والبرتغاليون في الخليج العربي ١٥٣٤ — ١٥٨١** . ترجمة عبد الجبار ناجي (بغداد ١٩٧٩) .

(٢) شاكر صابر الضابط . **العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران** ، (بغداد ١٩٦٦) ، ص ص ١٨ — ١٩ .

(٣) انظر للكاتب : **الدور التاريخي للبصرة على الخليج العربي ١٥٠٠ — ١٦٠٠ ، مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية** ، العدد ١٣ ، ص ص ٨٣—٩٦ . ولاغراض البحث انظر ص ص٨٦ ، ٨٨ — ٩٠ .

(٤) للمزيد من التفاصيل عن الحكم العثماني في العراق انظر : عباس العزاوي .**تاريخ العراق بين احتلالين**، الاجزاء ٤—٨ ، (بغداد ١٩٥٢ ، ١٩٥٣ ، ١٩٥٤ ، ١٩٥٥ ، ١٩٥٦) على التوالي حسب تسلسل الاجزاء المذكورة .

(٥) انظر ما يلي في صفحات هذا البحث .

(٦) حول ذلك راجع تفاصيل وافية عند : حسين محمد القهواتي ، العراق مابين الاحتلالين العثمانيين الاول والثاني ١٥٣٤ — ١٦٣٨ : دراسة في الاحوال السياسية والاقتصادية ، رسالة ماجستير غير منشورة ، جامعة بغداد كلية الاداب ١٩٧٥ .

(٧) لمزيد من التفاصيل انظر : علاء نورس . العراق في العهد العثماني . دراسة في العلاقات السياسية ١٧٠٠ — ١٨٠٠ ، (في الاصل رسالة دكتوراه من جامعة القاهرة) دار الرشيد (بغداد ١٩٧٩) . ص ص ٦٣ — ٦٧ .

(٨) انظر تفصيلات واسعة عند : عبد الرحمن بن عبد الله بن الحسين السويدي . **حديقة الزوراء في سيرة الوزراء** ، الجزء الاول في سيرة حسن باشا ، تحقيق صفاء خلوصي مطبعة الزعيم (بغداد ١٩٦٢) ص ص ٨٤ — ٨٧ ، وكذلك علاء نورس ، **المصدر السابق** ص ص ٧١ — ١٣٤ .

(٩) عبد الرحمن السويدي . **المصدر السابق** ، ص ص ٨٧ وما بعدها . وقارن مع ميرزا مهدي خان استرابادي ، **درى نادرى** ، اهتمام سيد جعفر شهيدي ، طهران ١٣٤١ هـ .

(١٠) اثارت معاهدة عام (١٧٣٢) بين الدولتين العثمانية والفارسية معارضة داخلية على صعيد الدولتين . ففي الاستانة حصل هياج شديد بسبب الموافقة على التنازل عن تبريز الى الفرس . وفي الدولة الفارسية عارض المعاهدة (نادرشاه) الذي كان قائد الجيوش لدى الشاه طهماسب ميرزا . انظر حول هذا الموضوع :

علاء نورس ، **المصدر السابق** ، ص ص ١٤٩ — ١٥١ .

(١١) عماد عبد السلام رؤوف . **الموصل في العهد العثماني : فترة الحكم المحلي ١١٣٩ ــ ١٢٤٩ هـ ١٧٢٦ ــ ١٨٣٤ م** (النجف الاشرف ١٩٧٥) ص ٩٩ .

(١٢) رسول حاوي الكركوكلي . **دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء** ، ترجمة عن التركية موسى كاظم نورس ، (بيروت ١٩٦٣) ص ٣٠ .

(١٣) يوسف كركوش الحلي . **تاريخ الحلة** ، ط ١ (النجف ١٩٦٥) القسم الاول ص ١٢٢ .

(١٤) انظر مايلي ذلك في صفحات البحث .

(١٥) ستيفن همسلي‌لونكريك . **اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث** ، ترجمة جعفر خياط ، ط ٥ ، (بغداد) . ص‌ص ١٧١ــ١٧٢ .

(١٦) رسول الكركوكلي . **المصدر السابق** ، ص ٣١ .

(١٧) **المصدر نفسه** ، ص ٣٢ .

(١٨) احدث حصار (نادرشاه) لبغداد عام (١٧٣٣) مجاعة قاسية وقد روي بان الناس اكلت خلال ايام المجاعة لحوم الخيل والبغال والكلاب والقطط . وزعم بان البعض كان يضحي بكل شيء في سبيل رغيف من الخبز !! للمزيد من المعلومات عن هذه المجاعة انظر : عبد الرحمن السويدي. **حديقة الزوراء في سيرة الوزراء** ، القسم الثاني ، مخطوط محفوظ في مكتبة المتحف العراقي ، الورقة ١٢٢ . وانظر ايضا رسول حاوي الكركوكلي . **المصدر السابق** ، ص ٣٠ .

(١٩) لونكريك . **المصدر السابق** ، ص ١٧٢ .

(٢٠) لونكريك . **المصدر السابق** ، ص ١٧٧ . وينفرد ياسين خير الله العمري في ص‌ص ٨٩ــ٩٠ من كتابه : **زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية** ، تحقيق عماد عبد السلام رؤوف (النجف الاشرف ١٩٧٤) في الاشارة الى وجود قوات مصرية في محلة طوبال باشا المرسلة لطـــرد (نادرشاه) من العراق ..

(٢١) انظر تفصيل ذلك في : علاء نورس . **المصدر السابق** ، ص‌ص ١٦١ ــ ١٦٣ .

(٢٢) حول مصير الجيش الفارسي الذي كان يحاصر بغداد انظر مايذكره لونكريك . **المصدر السابق** ، ص ١٧٦ . وقارن مع علاء نورس ، **المصدر السابق** ص ١٦٤ وهامش رقم (١٥١) في الصفحة نفسها .

(٢٣) نسب لونكريك . **المصدر السابق** ، ص ١٧٧ هامش رقم (٣٠) الى بعض الشهود صورة الاستقبال الذي جرى لعثمان باشا فذكر : « ... وصل الفاتح العظيم ذو البأس الشديد طوبال عثمان مع جيشه المنتصر الى بلد الامام الاعظم فتوافد عليه الاهلون من جميع الطبقات شيبا وشبانا يقبلون اقدامه ويمسحون عنها الغبار . »

(٢٤) ياسين العمري . **زبدة الاثار بالجلية** ، ص ٩٠ ، لونكريك ، **المصدر السابق** ، ص ١٧٧ .

(٢٥) انظر عباس العزاوي . **تاريخ العراق بين احتلالين** ، ج ٥ ص ٢٤٣ .

(٢٦) انظر ماسبق حول تسريحه لقسم من قواته .

(٢٧) لونكريك . **المصدر السابق** ، ص ١٧٧ .

(٢٨) علاء نورس . **المصدر السابق** ، ص‌ص ١٦٨ ــ ١٦٩ .

(٢٩) لونكريك . **المصدر السابق** ، ص‌ص ١٧٩ ــ ١٨٠ .

(٣٠) عباس العزاوي . **المصدر السابق** ، ص ٢٤٤ .

(٣١) نسب صاحب **زبدة الاثار الجلية في الحوادث الارضية** ، في ص ١٠٤ـ١٠٥ بأن الشيخ عبد الله السويدي البغدادي التقى بنادرشاه الذي بادره بالسؤال عن احمد باشا فأجابه : « ان احمد خان عند آل عثمان خائن وعندنا ايضا خائن » . وكان ذلك خلال الفترة التي نقل فيها احمد باشا من ولاية بغداد .

(٣٢) انظر تفاصيل عن هذه التطورات عند ، علاء نورس . **المصدر السابق** ، ص ١٧٠ ـ ١٧٥

(٣٣) انظر ما يلي في صفحات هذا البحث .

(٣٤) للتفاصيل انظر : شاكر صابر الضابط . **المصدر السابق** ، ص ٤٥ ـ ٤٦ .

(٣٥) قارن مع الاسباب التي يوردها لونكريك . **المصدر السابق** ، ص ١٨٢

(٣٦) ياسين العمري . **المصدر السابق** ، ص ١٠٠ ، عباس العزاوي . **المصدر السابق** ، ص ٢٦٦.

(٣٧) يقول سليمان الصائغ في ص ٢٧٨ من كتابه **تاريخ الموصل** ، المطبعة السلفية (القاهرة ١٩٢٣) الجزء الاول : بان احمد باشا والي بغداد عمد الى الحيلة وارسل الى نادرشاه يخبره بأن يسير اولا الى احتلال الموصل وفي عودته يجد بغداد مفتوحة امامه (!!) ويذكر ياسين العمري ان احمد باشا ارسل الى نادرشاه يقول له ارحل الى الموصل فان ملكتها فنحن لك مطيعون . انظر ايضا عرضا مفصلا للاراء التي ذكرت في سبب عدم تعرض نادرشاه لاحمد باشا اثناء هجومه على العراق عام ١٧٤٣ عند : علي شاكر علي . **تاريخ العراق في العهد العثماني ١٦٣٨ ـ ١٠٤٨/١٦٥٠ ـ ١١٦٤ هـ دراسة في احواله السياسية** ، اطروحة ماجستير غير منشورة ، (بغداد ١٩٧٦) كلية الاداب جامعة بغداد ص ٢١٧ ـ ٢١٨ .

(٣٨) عماد عبد السلام رؤوف . **المصدر السابق** ، ص ١٠٣ .

(٣٩) حول تلك الاستعدادات انظر : محمد امين بن خير الله الخطيب العمري . **منهل الاولياء ومشرب الاصفياء من سادات الموصل الحدباء** ، حققه ونشره سعيد الديوجي ، ج١ (الموصل ١٩٦٧) ص ٣١٤ .

(٤٠) محمد امين العمري . **المصدر نفسه** ، ص ٣١٤ .

(٤١) سليمان الصائغ . **تاريخ الموصل** ، ص ٢٨٢ .

(٤٢) وجدير بالذكر ان والي حلب حسين باشا القازوقجي هرع الى الموصل للمساهمة في الدفاع عن الموصل . انظر : عماد عبد السلام رؤوف . **المصدر السابق** ، ص ١٠٥ ـ ١٠٦ .

(٤٣) سليمان الصائغ . **تاريخ الموصل** ، ص ٢٨٣ .

(٤٤) عماد عبد السلام رؤوف . **المصدر نفسه** ، ص ٥١٥.

(٤٥) انظر نص ذلك الكتاب في : **منهل الاولياء** ، ص ٣٢٧ . وقارن مع **تاريخ الموصل** ص ٢٨٣ .

(٤٦) انظر جوانب من كفاح الموصل اثناء حصار نادرشاه عند : محمد امين العمري . **منهل الاولياء** ، ص ١٥٤ ـ ١٥٦ . وكذلك سليمان الصائغ . **تاريخ الموصل** ، ص ٢٨٣ ـ ٢٨٤ . وقارن مع مايذكره كل من : محمد حسين تدوسي . **نادر نامة** ، خراسان ١٣٣٩ هـ (بالفارسية) ص ٢٧٤ ـ ٢٧٥ . وكارستن نيبور . **رحلة نيبور الى بغداد في القرن الثامن عشر** ، ترجمة سعاد هادي العمري (بغداد ١٩٥٤) ص ١١٦.

(٤٧) محمد امين العمري . **المصدر السابق** ، ص‌ص ١٥٤ — ١٥٥ .

(٤٨) سليمان الصائغ . **تاريخ الموصل** ، ص ٢٨٤ .

(٤٩) **المصدر نفسه** . ص‌ص ٢٨٤ — ٢٨٥ .

(٥٠) عماد عبد السلام رؤوف . **المصدر السابق** ، ص١١٠ .

(٥١) عباس العزاوي . **المصدر السابق** ، ص ٢٦٨.

(٥٢) يرى عماد عبد السلام رؤوف بأن صمود الموصل احدث تغييرا مهما على خطط ومشاريع نادرشاه في العراق وخاصة فيما يتعلق بالعدول عن حصار بغداد نهائيا .
انظر **كتابه الانف الذكر** ص ١١٢ .

(٥٣) سليمان الصائغ . **تاريخ الموصل** ، ص ٢٨٧

(٥٤) محمد امين العمري . **منهل الاولياء** ، ص ١٦٣ .

(٥٥) انظر عرضا لتلك الاطماع والاهداف خلال عهد نادرشاه عند : عبد العزيز نوار ، **الشعوب الاسلامية** . (بيروت ١٩٧٣) ، ص ٣٠٩ .

(٥٦) انظر تفصيلات عن ذلك عند : ج. لوريمر . **دليل الخليج** ، القسم التاريخي ، المجلد الرابع ، ص ١٧٨٣ . وكذلك عبد الامير محمد امين . **القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر** ، (بغداد ١٩٦٦) ، ص‌ص ١٣ ، ١٥ .

(٥٧) محمد حسين قدوسي **نادر نامة** ، ص ٢٥٤ .

(٥٨) لوريمر . **المصدر السابق** ، ص ١٧٨٤ ، امين ، **المصدر السابق** ، ص ١٩

(٥٩) لوريمر . **المصدر نفسه** ، ص‌ص ١٧٨٣ — ١٧٨٤ ، امين . **المصدر نفسه** ، ص‌ص ١٣—١٥ ، ١٩٤ .
وقارن مع محمد حسين قدوسي . **المصدر السابق** ، ص ٢٥٤ .

(٦٠) لوريمر . **المصدر نفسه** ، ص ١٧٨٤ .

مجلة العلوم الاجتماعية

تصدر عن جامعة الكويت

فصلية أكاديمية علمية مختصة بالشؤون النظرية والتطبيقية في مختلف حقول العلوم الإجتماعية وتنشر مادتها بالعربية والانجليزية

رئيس التحرير : الدكتور أسعد عبد الرحمن

يحوي العدد حوالي ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير تشتمل على :

- أبحاث بالعربية تعالج مختلف حقول العلوم الإجتماعية .
- مراجعات بالعربية والانجليزية لكتب حديثة تبحث الموضوعات التي تعالجها المجلة .
- أبحاث باللغة الانجليزية .
- أبواب ثابتة : تقارير علمية . قاموس الترجمة والتعريب . دليل الجامعات والمؤسسات التعليمية العليا . ندوة العدد .
- ملخصات بالعربية للأبحاث الانجليزية

ثمن العدد : ٢٥٠ فلسًا أو ما يعادلها في الخارج

الاشتراكات : للافراد سنويًا دينار في الكويت ديناران أو ما يعادلهما في الوطن العربي (بريد جوي) ثلاثة دنانير أو ما يعادلها في سائر أنحاء العالم (بريد جوي) للطلبة أسعار خاصة .
اما الاسعار للشركات والمؤسسات والدوائر الرسمية في الكويت وخارجها فمفتوحة بحدها الأقصى ولا تقل عن عشرة دنانير كويتية في حدها الأدنى .

توجه جميع المراسلات والأبحاث باسم رئيس التحرير على العنوان التالي :
مجلة العلوم الاجتماعية - جامعة الكويت - الكويت